

خلق مجالات آمنة: دروس من جنوب أفريقيا وبوروندي

كرستين لوبرن وكاثرين ديرديريان

العزلة الناتجة عن العنف الجنسي تشق طرقهن نحو العيادة.

ومن خلال خبرتنا كان العامل الرئيسي للنجاح في مشاريع العنف الجنسي والعنف الجنساني في كل من جنوب أفريقيا وبوروندي يكمن في ضمان أن كافة الخدمات - الطبية والنفسية والقانونية - في متناول المرضى عبر نفس المنشأة، ولكن التحديات والأسئلة تظل موجودة.

يبدو أن برامج العنف الجنسي والعنف الجنساني تعمل بنجاح في أجواء ما بعد النزاع أو في ظل عدم وجود أي نزاع - وهو توجه تمثل تمثيلاً جيداً في مشروعنا في بوروندي التي نالت زخماً ضخماً بمجرد أن بدأت الحرب الأهلية في الخمود. أثناء النزاعات يكون لدى ضحايا الاغتصاب مخاوف إضافية حول الأمن أو العواقب الناجمة في بيئة فوضوية تتميز بالعنف والحصانة. وفي ظل هذا السياق، يمثل العنف الجنسي والعنف الجنساني ضرباً من الأنواع الكثيرة للعنف وربما ينظر إلى النجاة فقط على أنها الأولوية الفورية الوحيدة.

وحتى إذا توفرت الخدمات، فإن ضحايا الاغتصاب لا ينتفعون منها أحياناً (في كل من أوضاع النزاعات وما بعدها) وربما يحدث ذلك بسبب نقص السرية والخصوصية المطلقة داخل العيادة الطبية. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون للاعتراف بالاغتصاب أصداء داخل

العائلة، مثل الهجر والطلاق، وعواقب اجتماعية أكبر من وصم بالعار وتهميش اقتصادي. ويمكن أن يمثل النظامين السياسي والقانوني عقبة خاصة عند ضرورة وجود البيروقراطية المكثفة والاتصال المتزايد مع السلطات المختلفة من أجل الإبلاغ عن حالات الاغتصاب ورفع القضايا بخصوصها. وفي بعض مناطق النزاعات، لا تتوفر السلطات اللازمة لتوثيق حوادث العنف أو لتقديم الملاذ القانوني. ويمكن للسلطات المحلية أن تتمتع بدور رئيسي في تسهيل

مشاريع العنف الجنسي والعنف الجنساني بمجرد اعترافها بأن العنف الجنسي والعنف الجنساني يعتبر قضية بحد

تخاطب منظمة أطباء بلا حدود في بلجيكا حالياً العنف الجنسي والعنف الجنساني في الكثير من مشاريعها حول العالم، وفي جنوب أفريقيا، وبوروندي، وليبيريا، وسيراليون، وساحل العاج، والسودان، وتشاد، ورواندا، وكولومبيا، وأكثر جاراتنا نجاحاً هما في جنوب أفريقيا وبوروندي.

٢٠٠٥ وسعت منظمة أطباء بلا حدود فعاليتها لتشمل فحوصات الطب الشرعي وزادت ساعات عملها إلى ٢٤ ساعة في اليوم على مدار الأسبوع لتستجيب لاحتياجات طلب خدماتها. وفي شهر واحد فقط ساعد العاملون في مركز سيمبيليا أكثر من ١٣٠ ضحية اغتصاب وكان حوالي نصفهم من الأطفال تحت سن الرابعة عشر.

واستجابة للاغتصاب والعنف الجنسي المرتبط بالحرب، افتتحت منظمة أطباء بلا حدود مركز سيروكا الصحي للنساء في مدينة بوجومبرا في بوروندي في عام ٢٠٠٤. ولم يكن افتتاح مثل هذا المشروع أمراً هيناً في بلد لا يوجد فيه مصطلح "الاغتصاب" في اللغة المحلية. ولتفادي الوصم بالعار يقدم المركز مجموعة من الخدمات الصحية الخاصة بالنساء، بما فيها تنظيم الأسرة، والرعاية الخاصة بحالات العدوى التي تنتقل بالاتصال الجنسي، ورعاية ضحايا العنف الجنسي والعنف الجنساني. ويتلقى المرضى المتابعة الطبية والدعم النفسي لمدة ستة أشهر. ويقوم العاملون الاجتماعيون في منظمة أطباء بلا حدود بتحويل المرضى إلى منظمات غير حكومية أخرى والجماعات المجتمعية المحلية التي يمكنها تقديم مساعدة مستمرة

لا يتعلق الأمر بالألم البدني، وإنما بالألم العاطفي. لقد انتزعوا مني شيئاً عندما اغتصبت؛ لقد انتزعوا مني كرامتي، لقد انتزعوا مني شيئاً لا أستطيع استرداده. وكل ما أستطيع التفكير به هو "ماذا أنا؟ كيف يمكن لذلك أن يحدث لي؟" وانتهى بي المطاف بإلقاء اللوم على نفسي. لقد مضت ثلاث شهور الآن ولا أتحدث عن هذا الأمر وأصدقائي بعد. وأنا مصممة على ألا يغيرني هذا الحدث - وأن أمضي في الخروج كما اعتدت وأن أظل قوية. أعلم أنني سأكون بخير، ولكن الأمر صعباً حيث لا زلت أعيش بمفردتي ولكنني أترك المصباح مضيئاً، والضوء في الليل تفرغني.

تنكي، كيب تاون، جنوب أفريقيا، يناير ٢٠٠٦.

تعد جنوب أفريقيا من بين الدول التي تقع بها أعلى نسبة حوادث اغتصاب في العالم، ويقدر أن هناك شخص يغتصب

كل ٢٦ ثانية. وفي كابلنتشا، وهي بلدة يقطنها حوالي ٥٠٠ ألف نسمة وتقع قرب كيب تاون، تعتبر فيها حوادث الاغتصاب من أعلى النسب في البلاد. ومنذ عام ٢٠٠٣ دعمت منظمة أطباء بلا حدود مركز سيمبيليا للناجين من حوادث الاغتصاب في بلدة كابلنتشا. ونعمل بالاشتراك مع محترفين من الخدمات الصحية والاجتماعية الإقليمية، ومع الشرطة ومنظمة محلية تختص بالعمل في أزمات الاغتصاب. ويوفر مركز سيمبيليا العناية الطبية والنفسية والاجتماعية بما في ذلك العلاج الوقائي بعد

التعرض للفيروسات للوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية، والتنسيق مع الشرطة ومراقبة المرضى. وفي عام



كلال دي كايبر / أطباء بدون حدود

نساء في مشروع تابع لمنظمة أطباء بدون حدود في بوروندي.

بالنساء في كافة مشاريعها، إذا توفرت الموظفين العاملات في المجال الطبي.

وبما أن منظمة أطباء بلا حدود تختص أساساً في المجال الطبي، فإن كل من الطريقة الأفقية والطريقة الرأسية تعتمدان كل الاعتماد على أطراف أخرى تتولى مسئولية المتابعة النفسية والقانونية والمادية/الاقتصادية. وبسبب التعقيدات المتأصلة في هذه السياقات، فهناك عجز في المساعدة القانونية في معظم الأحيان. ولكي تتم توفير استجابة حقيقية للعنف الجنسي والعنف الجنساني يجب على الأطراف الدولية والمحلية أن يبدي الرغبة السياسية في استثمار موارد بشرية ومالية كبيرة في كل تلك الأبعاد المتلازمة التي لا غنى عنها لرعاية ضحايا العنف الجنسي.

كرستين لوبرن هي متخصصة صحية في شؤون المرأة وكاترين ديرديريان هي المستشارة الإنسانية لقضايا السياسيات في منظمة أطباء بلا حدود في بلجيكا (www.msf.be). البريد الإلكتروني: christine.lebrun@msf.be، katharine.derderian@msf.be

١. للمزيد من المعلومات، انظر www.msf.org.au/stories/twffeature/2006/129-twf.shtml

٢. في حالة الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية يكون العلاج الوقائي بعد التعرض للفيروسات عبارة عن علاج مكون من عقاقير مضادة للفيروسات الرجعية والتي يجب أن تبدأ في أسرع وقت ممكن - بالطبع في أقل من ٧٢ ساعة - لتثبيت فعاليتها بعد خطر التعرض للفيروس.

٣. للمزيد من المعلومات، انظر www.msf.org.au/stories/twffeature/2006/129-twf.shtml

أي المناهج - الأفقية أم الرأسية؟

تجمع منظمة أطباء بلا حدود بين كلتا الطريقتين وحيثما نحدد مشكلة معينة وحادة للعنف، فإننا نتبنى برنامجاً "رأسياً" ليخاطب العنف الجنسي والعنف الجنساني تحديداً، ومن خلال خبرتنا نتجح هذه الطريقة أفضل نجاحاً باستخدام الطريقة الشاملة - توفير الرعاية الطبية ضمن إطار يشمل طريقة المعلومات-التعليم-الاتصالات، والدعم النفسي، والمساعدة القانونية والتنسيق مع المنظمات الأخرى التي تعتني بالمرأة والتي يمكنها أن تقدم دعماً مادياً واجتماعياً مستمراً.

وفي الأجواء التي لا توجد بها مشاكل حادة للعنف، تستخدم منظمة أطباء بلا حدود الطريقة الأفقية حيث أن العنف الجنسي والعنف الجنساني يعد جزءاً من برنامجنا التي تختص بالرعاية الصحية عالمياً - أكثر من ٣٥ مشروعاً في جميع أنحاء العالم. والتحدي الذي يواجهه البرامج الأفقية هو أن يصبح العنف الجنسي والعنف الجنساني مجرد قضية واحدة للكثيرين ويواجهها الطاقم الطبي خلال عملهم اليومي المحموم. ويعمل أثر الوصم بالعار على تصعيب أمر التعامل مع العنف الجنسي والعنف الجنساني من خلال نظام صحي عام. وإحدى الطرق التي تواجه منظمة أطباء بلا حدود هذه المشكلة تتم من خلال إقامة "مساحات آمنة" داخل كل منشأة صحية، حيث يمكن للنساء التحدث عن المسائل الصحية الخاصة بهن وعن العنف الجنسي والعنف الجنساني بشكل يضمن لهن الخصوصية والسرية الكاملة. وترغب منظمة أطباء بلا حدود في افتتاح عيادات منفصلة خاصة

ذاته وتمكين الخدمات أو الوكالات الطبية مثل منظمة أطباء بلا حدود من الاستجابة.

ولكي يتم تشجيع النساء على استشارة الخدمات الطبية بعد حوادث العنف الجنسي والعنف الجنساني، تركز منظمة أطباء بلا حدود على نقل رسائل بسيطة من "المعلومات-التعليم-الاتصالات"، وتأكيد الحاجة الماسة للعلاج الوقائي بعد التعرض للفيروسات ضد فيروس نقص المناعة البشرية وضرورة توفيره في غضون ٧٢ ساعة بعد التعرض للفيروس. وتعزز منظمة أطباء بلا حدود هذه الرسائل من خلال الترويج لزيادة الوعي الخاص بالعنف الجنسي والعنف القائم على أساس العنف وتوفير العلاج الوقائي بعد التعرض للفيروسات بين موظفيها ومرضاها المحليين والمنظمات المحلية الأخرى.

وبينما تسعى ضحايا الاغتصاب لتلقي الرعاية خارج المؤسسات الصحية التقليدية ويلجأون إلى القابلات، تبدأ منظمة أطباء بلا حدود في التنسيق مع تلك القابلات عن كثب حيث يمكن للقابلات أن يخبرن الضحايا عن توفر العلاج الوقائي بعد التعرض للفيروسات وأن يقومن بتحويل حالات العنف الجنسي والعنف الجنساني إلى المؤسسات الصحية التابعة لمنظمة أطباء بلا حدود. وفي السودان تنظر منظمة أطباء بلا حدود في توظيف القابلات المؤهلات كعاملات في مجال الصحة في المجتمع من أجل الوصول الأفضل لضحايا الاغتصاب ولتشجيع القابلات على التنسيق مع منشآت منظمة أطباء بلا حدود دون الخوف من خسارة الدخل الناتج عن التعامل مع مرضاهن.